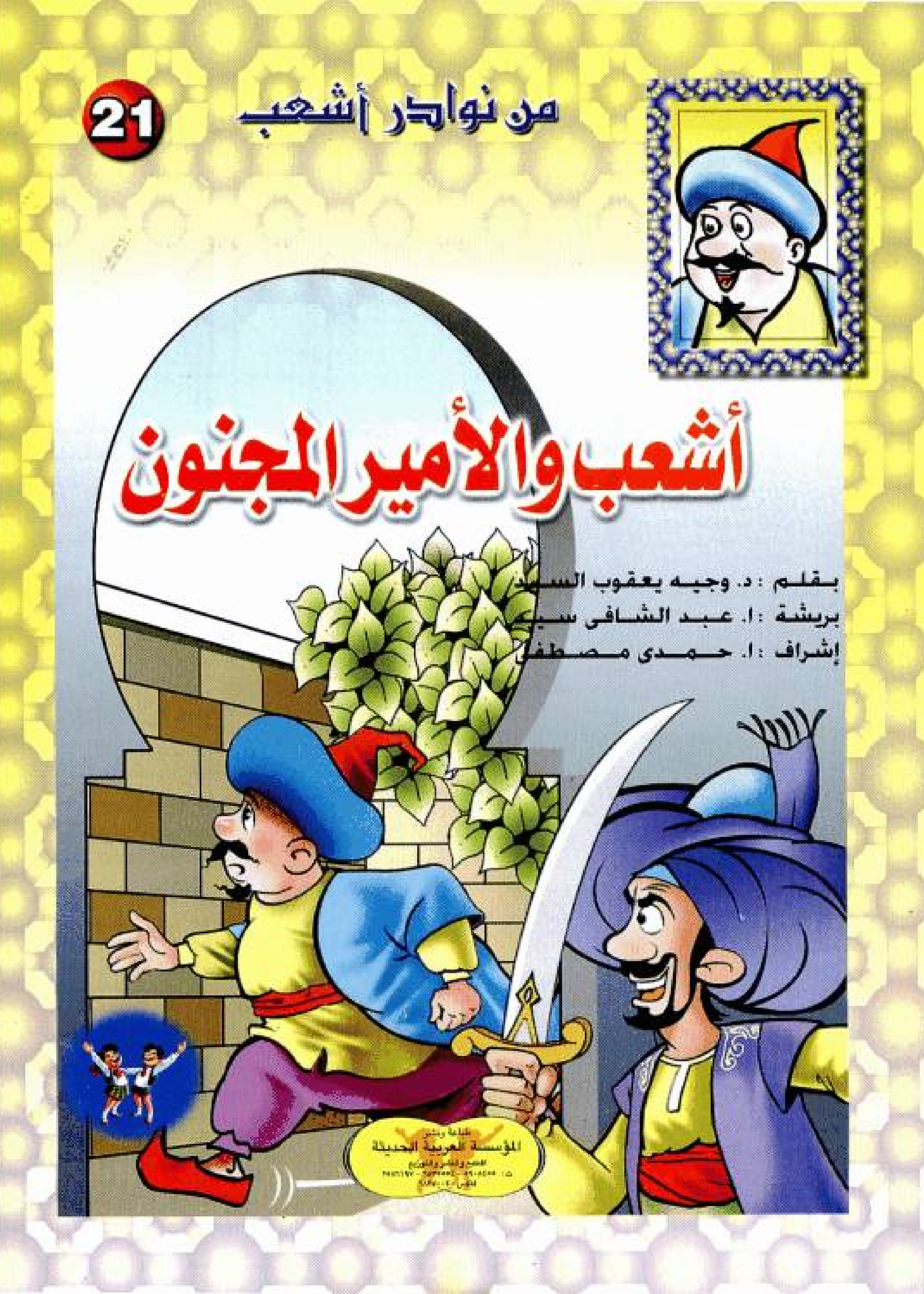


من نوادر أشعب
21
أشعب والأمير المجنون
بقلم : د. وجيه يعقوب
بريشة : ا. عبد الشافى
إشراف : ا. حمدى مصطـ
طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة



أشْـعَبُ الطَّمَّـاع

شَخْصِيَّةٌ حقيقيَّةٌ ، اشْتهرتْ بالنَّهَم والشَّراهَةِ فى الأكْلِ ، يعتبِرُه البَعْض أميرَ الطُّفَيْليِّينَ بلا مُنَازِع ، حيثُ يتسلَّلُ إلى كلِّ مائدةٍ أو احتفالٍ أو عُرْسٍ فيه طعامٌ ، دونَ أن يدْعُوه أحدٌ أو ينْتظر دَعْوَةً من أحد .

وعلى الرَّغْمِ من كُلِّ هذا ، فقدْ كانَ أشْعبُ شخصيَّةً مَرِحةً محْبوبَةً ، تتَّسِمُ كلُّ مواقِفه بالفُكاهَةِ والضَّحك ، بسببِ ظرفه وخِفَّةِ روحه ومواقِفه الطَّريفَة !

أَشْعَبُ والأَميرُ المجْنونُ !

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد

بريشة : أ. عبد الشافى سيد

إشراف : أ. حمدى مصطفى

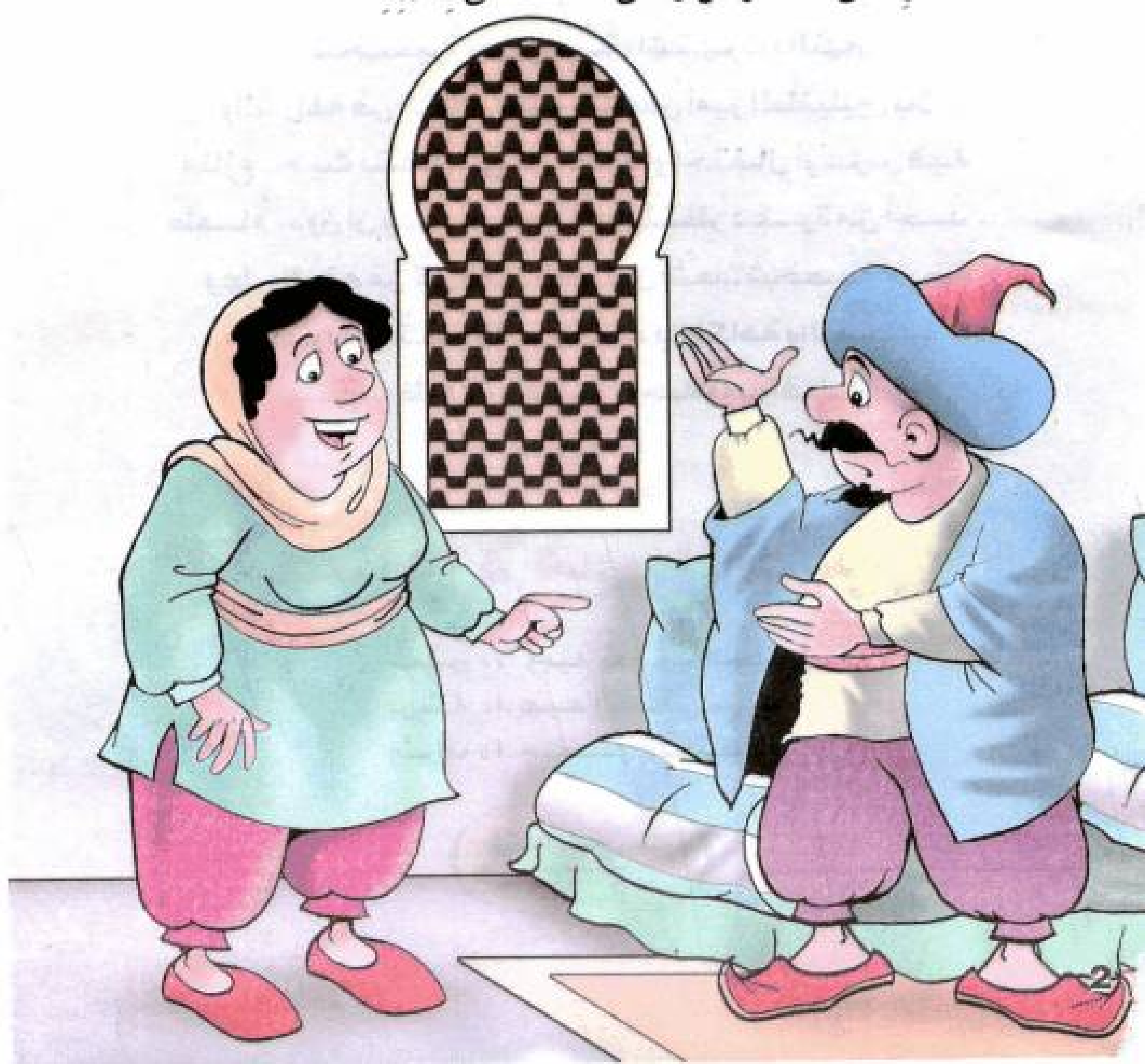
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

كانَ أَحدُ الأُمراءِ يحبُّ مُجالسَةَ أشْعَبَ ومُمازَحتَهُ ، وكان يُغْدقُ عليْه من المْالِ والهدايا . وعلى الرَّغْم منْ ذلكَ فقدْ كانَ أَشْعَبُ يبْغضُ مَجْلسَهُ ويتَجنَّبُ زِيارَتَه بكُلِّ وَسيلَةٍ . وذاتَ يومٍ احْتاجَ أشْعَبُ إلى المْالِ ، ولَمْ يَجدْ مَنْ يُساعِدُهُ فسأَلَتْهُ زوْجتهُ :

ـ ولِماذا لا تذْهَبُ إلى صدِيقكَ الأمير «مَشْهُور» ؟ فهو أكْرَمُ منْ عرَفْتَ .

فقالَ أَشْعبُ :

ـ لا تَذْكُرِي لي هذا الرجُلَ وكَفَى ما حَدثَ لي بِسَبَبِه .

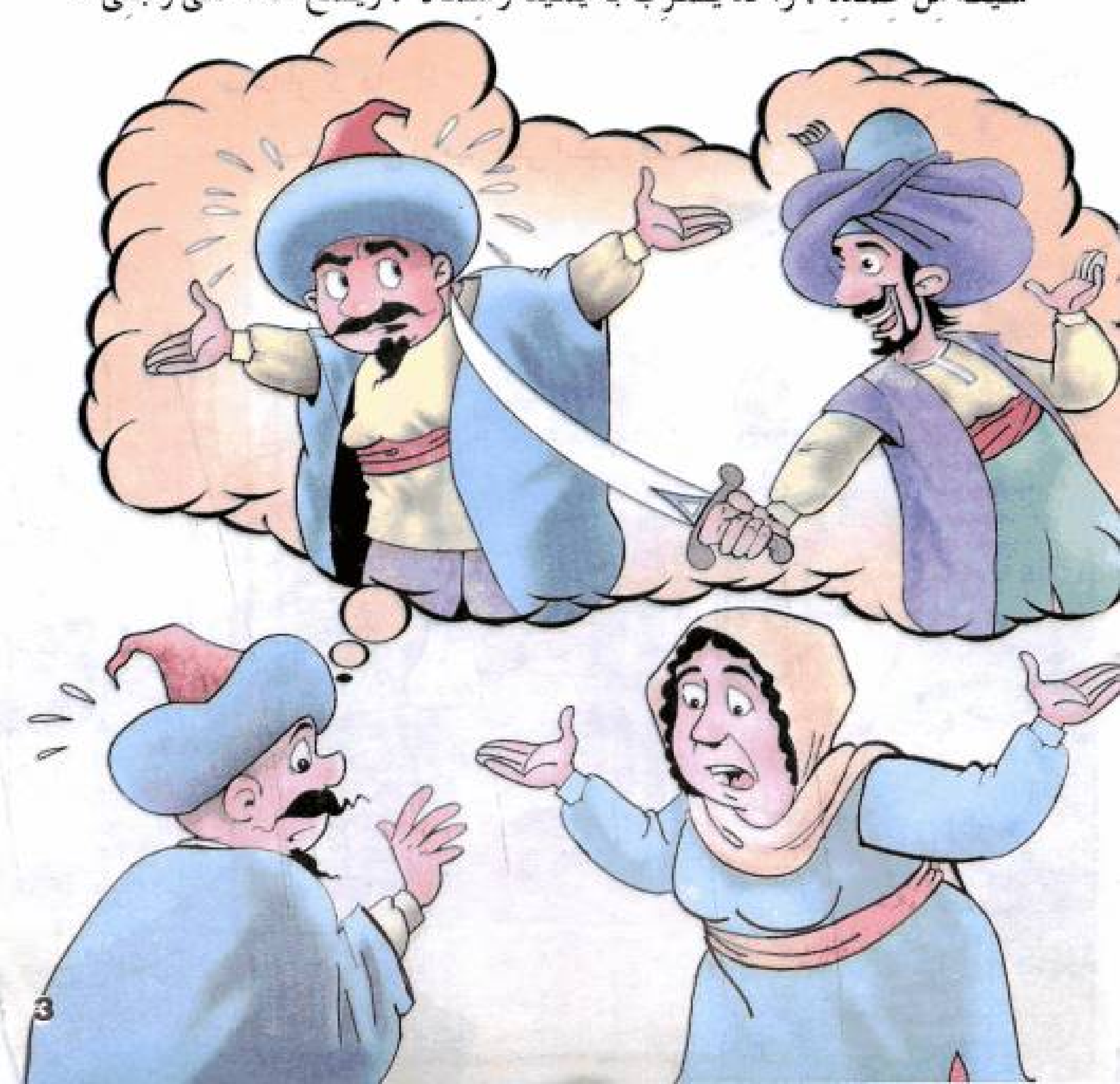


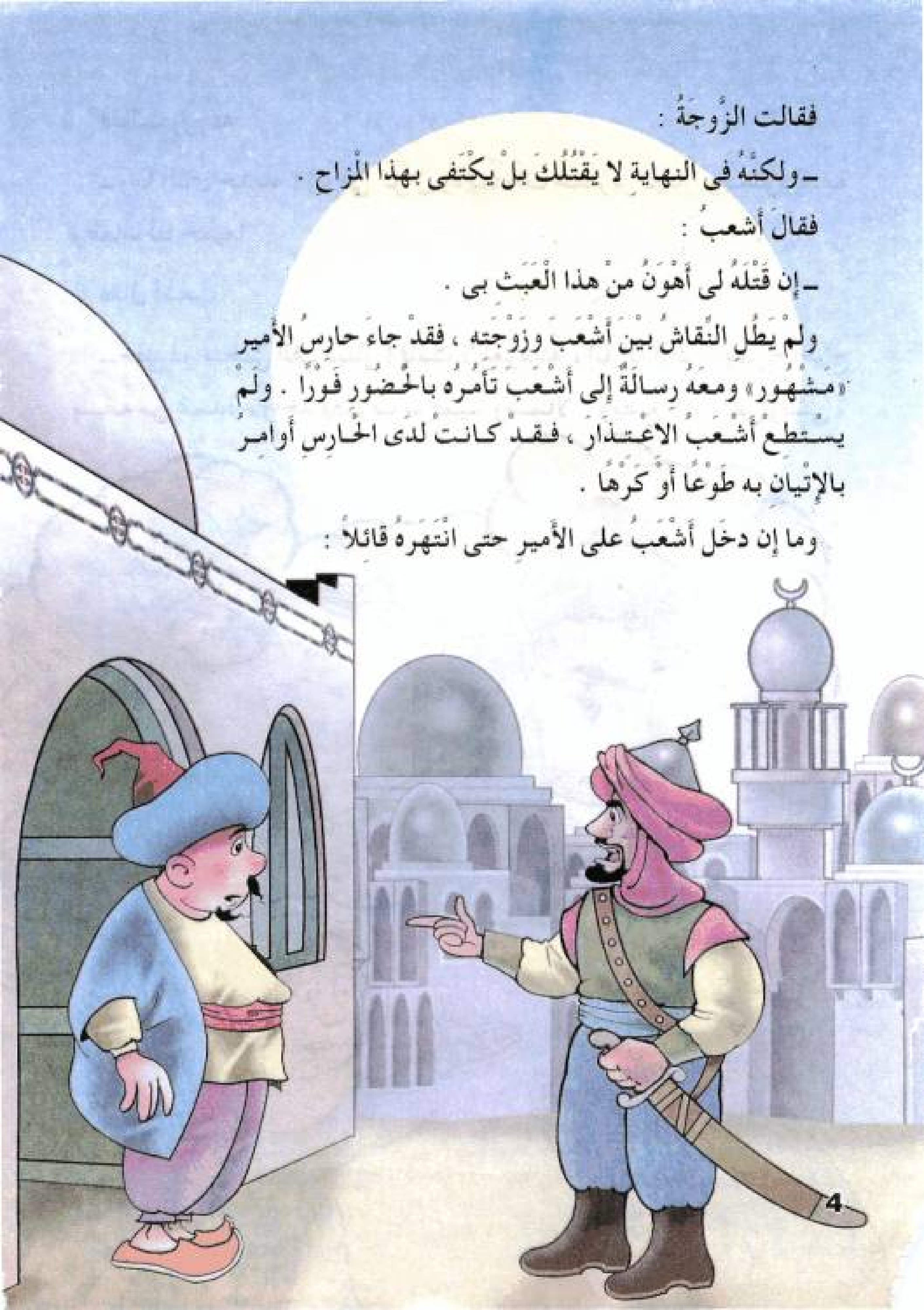
فقالتْ زوْجَتُهُ :

ـ وما الذى حَدثَ ؟ إنهُ فى كُلِّ زيارَةٍ يَمْنَحُكَ عِشْرينَ دينارًا وكُسْوَةً قَيِّمَةً وطَعامًا لنا جَميعًا .

فقالَ أشْعَبُ :

ـ حتى لوْ مَنَحنى ألْفَ دينارٍ ! فأنت لا تَعْرفينَهُ ، إنهُ إذا أرادَ أنْ يَمْزَحَ أخْرجَ سَيْفَهُ مِنْ غِمْدِه ، وأخَذَ يَضْرِبُ بِه يَمينًا وشِمالاً ، ويضَعُ حدَّهُ على رقَبتى .





فقالت الزَّوجةُ :

ـ ولكنَّهُ في النهايةِ لا يَقتُلُكَ بلْ يكتفي بهذا المُزاح .

فقالَ أشعبُ :

ـ إن قتلَه لي أهوَنُ منْ هذا العَبثِ بي .

ولمْ يطُلِ النِّقاشُ بينَ أشعبَ وزوجته ، فقدْ جاءَ حارسُ الأمير «مشهور» ومعهُ رسالةٌ إلى أشعبَ تأمرُه بالحضورِ فورًا . ولَمْ يستطعْ أشعبُ الاعتذارَ ، فقدْ كانتْ لدى الحارسِ أوامرُ بالإتيانِ به طوعًا أوْ كرهًا .

وما إنْ دخلَ أشعبُ على الأميرِ حتى انتهرهُ قائلاً :

ـ عَلِمْتُ أَنَّكَ لا تَرْغَبُ فى مُجَالَسَتِى وزِيارَتِى ، فهلْ هذا صَحِيحٌ ؟

فأجابَ أَشْعَبُ مِنْ شِدَّةِ الخَوْفِ :

ـ كلاَّ يا مَوْلاىَ ، ولكِنْ . . .

ـ ولكِنْ ماذَا يا أَشْعَبُ ؟ ما الذى يَمْنَعُكَ عَنْ زِيارتِى ؟

ـ يَمْنَعُنى عَبَثُكَ بى بالسَّيْفِ يا مَوْلاىَ ، وأنا لا أَخافُ فى حَياتى مِنْ شىْءٍ أَكْثَرَ مِنْ خَوْفى مِنَ السَّيْفِ ؛ فقدْ يطُولُ يا مَوْلاىَ ذاتَ مَرَّةٍ فيقْتُلُنى .

فقالَ الأَميرُ : ـ إذا كانَ هذا هو السَّبَبَ فأنَا أَعِدُكَ أَلاَّ أَفْعَلَ ذلكَ مَعَكَ ثانِيَةً .



فقالَ أَشْعَبُ :

ـ وبشَرطِ أنْ تُخْرِجَ كلَّ السُّيوفِ المْوجودَةِ فى الْبَيْتِ يا مَوْلاى !

فقالَ الأميرُ :

ـ ولكَ ما تُرِيدُ يا أشْعَبُ .

ثم أخْرجَ مِنْ كيسِ نُقُودِهِ عَشْرةَ دنَانِيرَ وأعطاها لأشْعَبَ وربَّتَ على كَتِفِهِ وقالَ :

ـ وسوْفَ آمرُ لكَ بكسْوَةٍ تليقُ بكَ وطَعامٍ شَهِىٍّ ؛ حتى تُعَوِّضَ ما فاتَكَ فى الأيامِ الخَالِيَةِ .



أمرَ الأميرُ خادمَهُ بإعْدادِ مائدَةِ طعامٍ عامرَةٍ تليقُ بضَيفِهِ الكريمِ ، وجلسَ أشْعبُ إلى المائدَةِ وراحَ يأكُلُ في نَهَمٍ ويَلْتَهِمُ من صُنُوفِ الطَّعامِ المُختلفَةِ . كانَ الأميرُ جالسًا في وُجُومٍ ورانَ الصَّمْتُ على المكانِ ، وأَحسَّ أشْعبُ بتَغَيُّرٍ في مِزَاجِ الأميرِ فحاولَ إضْحاكَهُ بمُخْتلفِ السُّبُلِ : أطْلقَ النوادِرَ المُضحكَةَ ، وقلَّدَ حركاتِ بعْضِ الحيواناتِ ولكنْ دُونَ جدْوى ؛ فقدِ ازْدادَ تجَهُّمُ الأميرِ ، حتى شَعَرَ أشْعبُ بالخوْفِ .

قامَ الأميرُ ومَسَحَ يدَيْهِ من آثارِ الطَّعامِ ، ثم دخلَ إلى حُجْرةٍ مُجاوِرَةٍ وجاءَ بسَيفٍ كَبيرٍ ،



لَمْ يَرَ أَشْعَبُ مِثْلَهُ مِنْ قَبْل ، وَمَا إِنْ رَآهُ أَشْعَبُ حتى صاحَ :

ـ أَسْتَحْلِفُكَ بِاللَّهِ يا مَوْلاَيَ ! أَلَمْ تَقْطَعْ على نَفْسِكَ عَهْدًا أَلاَّ تَعْبَثْ بِي بالسَّيْفِ وأَلاَّ تؤْذِيَنِي ؟

تظاهَرَ الأَميرُ بِالجِدِّيَّةِ وقالَ :

ـ ومَنْ قالَ إِنَّنِي سأَعْبَثُ بِكَ ؟ إِنَّما أَخْرَجْتُ هذا السَّيْفَ لِخَيرٍ أُرِيدُهُ بِكَ .

فقالَ أَشْعَبُ والعَرَقُ يتصبَّبُ مِنْ جبينِه :

ـ وأَيُّ خيرٍ يكونُ مع السَّيْفِ يا مَوْلاَيَ ؟





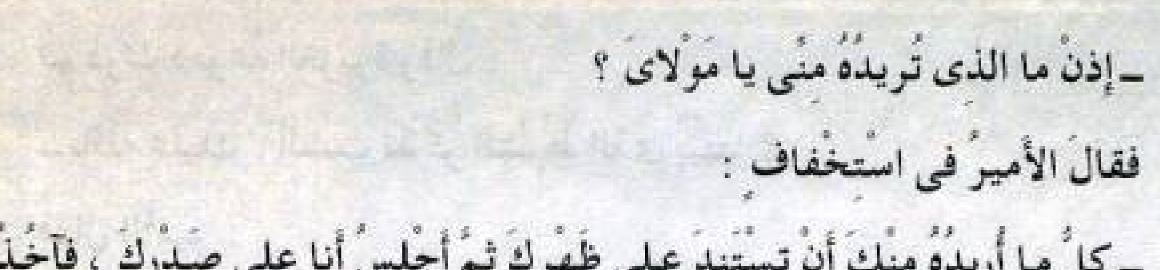
ثم ذرَفَ دُمُوعَهُ الْغَزيرَةَ وقال :

ـ باللّهِ عَلَيْكَ ، أَلَسْتَ تذْكُرُ الشَرْطَ الذى بَيْننا ؟

فقالَ الأميرُ :

ـ بلى أذْكُرُهُ ، وأنا أؤكِّدُ لكَ أنّنى لنْ أضْرِبَكَ بالسَّيفِ ، ولنْ يلْحَقَكَ مِنْه شَىءٌ تكْرَهُهُ .

فقالَ أشْعَبُ :



ـ إذنْ ما الذى تُريدُهُ منِّى يا مَوْلاىَ ؟

فقالَ الأميرُ فى استِخْفاف :

ـ كلُّ ما أُريدُهُ منْكَ أنْ تستَنِدَ على ظَهْرِكَ ثمَّ أجْلسُ أنا على صَدْرِكَ ، فآخُذُ جِلْدَةَ حَلْقِكَ بأُصْبعي مِن غَيْرِ أنْ أقْبِضَ على عَصَبٍ ولا مَقْتَلٍ فأقْطَعُهَا بالسَّيفِ .

دارت الأَرْضُ بأشْعَبَ ، وعَلِمَ أنَّ الأميرَ الذى أمَامَهُ ما هو إلا شَخْصٌ مجنُونٌ ، قدْ تُسوِّلُ لهُ نَفْسُهُ ذلكَ ، فظلَّ يبكى ويصْرُخُ ويستَنْجِدُ بالأميرِ ألاَّ يفْعَلَ ، فربَّتَ الأميرُ

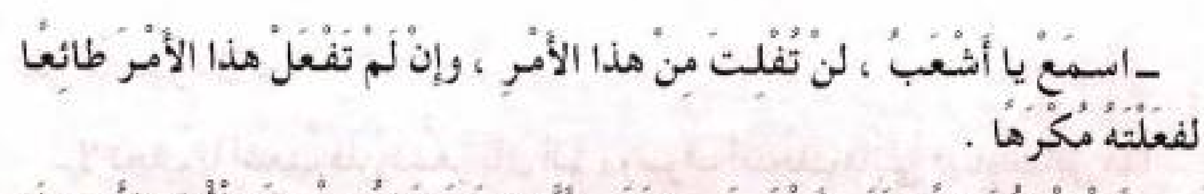


عَلى كَتِفِهِ وقالَ :

ـ لا تَخَفْ يا أَشْعَبُ فَلَنْ تَشْعُرَ بِأَىِّ أَلَمٍ ، وسوفَ أَمْنَحُكَ مائَتَىْ دِينارٍ مُقابِلَ هَذا .

فقالَ أَشْعَبُ وهو يَبْكى ويَسْتَغِيثُ :

ـ نَشَدْتُكَ اللَّهَ أَلاَّ تفْعَلَ ، فأنا شَيْخٌ كَبِيرٌ ولا أَتَحَمَّلُ مِثْلَ هذا الْعَبَثِ فِي هذِهِ السِّنِّ . لكنَّ الأَمِيرَ تَجَهَّمَ تجهُّماً شَدِيداً ، وقالَ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ :



ـ اسمَعْ يا أَشْعَبُ ، لنْ تُفْلِتَ مِنْ هذا الأَمْرِ ، وإنْ لَمْ تَفْعَلْ هذا الأَمرَ طائِعًا لفعلْتهُ مُكْرَهًا .

مرَّ الوقْتُ بَطيئًا على أَشْعَبَ ، وشَعَرَ بأنَّه لا نَجاةَ لهُ منْ هذا المأْزِقِ إلاَّ بحِيلَةٍ يَحْتالُها ، فراحَ يفكِّرُ في مَخْرَجٍ ، وأخيرًا نَظَرَ إلى الأميرِ قائلاً :

ـ إذا كُنتَ لابُدَّ فاعلاً فاخْرُجْ وأَحْضِرْ حَبلاً وارْبِطْني به ؛ حتّى لا أُسبِّبَ لكَ مَشاكِلَ وأَنْتَ تَذْبَحُني .

فابْتَسمَ الأميرُ وقالَ :

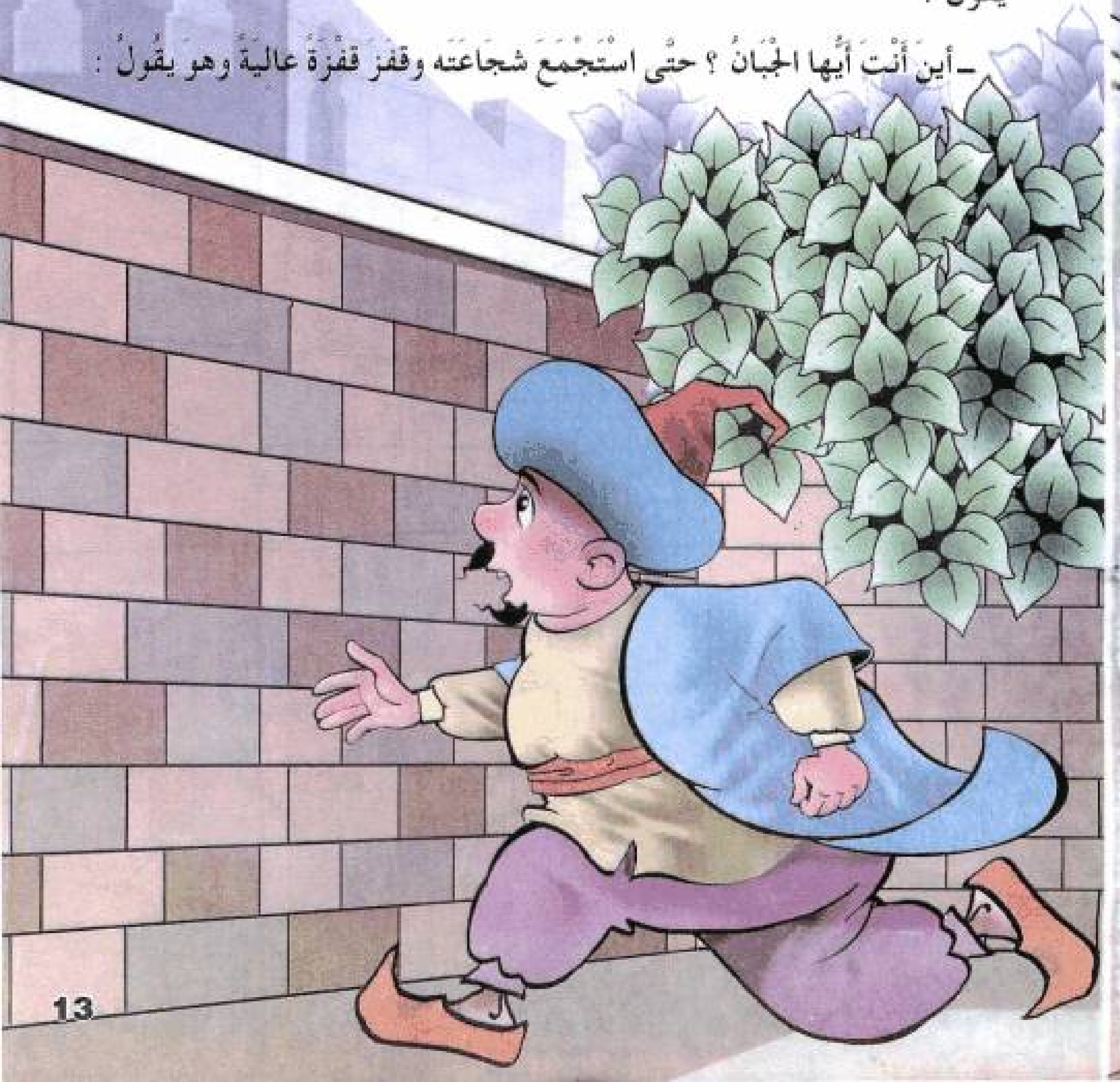
ـ أخيرًا ثُبْتَ إلى رُشْدِكَ يا أَشْعَبُ !!



ثُمَّ خَرَجَ لِكَيْ يَجِيءَ بِحَبْلٍ ، وَلَمْ يَكَدِ الأَمِيرُ يَخْرُجُ مِنْ بَابِ الحُجْرَةِ حَتَّى تَسَلَّلَ أَشْعَبُ خَلْفَهُ فِي بُطْءٍ ، ثُمَّ أَطْلَقَ سَاقَيْهِ لِلرِّيحِ حَتَّى وَجَدَ نَفْسَهُ خَارِجَ الْبَيْتِ أَمَامَ حَائِطٍ مُرْتَفِعٍ .

نَظَرَ أَشْعَبُ إِلَى هَذَا الحَائِطِ فَوَجَدَهُ عَالِيًا ، وَأَحَسَّ أَنَّهُ لَوْ حَاوَلَ تَسَلُّقَهُ فَقَدْ يَسْقُطُ لِيَنْكَسِرَ عُنُقُهُ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكَدْ يَسْمَعُ صَوْتَ الأَمِيرِ آتِيًا مِنَ الدَّاخِلِ وَهُوَ يَقُولُ :

ـ أَيْنَ أَنْتَ أَيُّهَا الجَبَانُ ؟ حَتَّى اسْتَجْمَعَ شَجَاعَتَهُ وَقَفَزَ قَفْزَةً عَالِيَةً وَهُوَ يَقُولُ :



ـ إنَّ سُقُوطِي من فَوْقِ هذا الحائطِ أهْوَنُ مِمَّا سيفعلُهُ بي هذا المجْنونُ .

ولأنَّ أشْعَبَ لم يكُنْ متعوِّدًا على تسلُّقِ مثلِ هذه الحوائط ، فقد اختَلَّ توازنُهُ وسقطَ في منْزِلٍ مُجاورٍ لمنْزِلِ الأمير « مشْهور » ، فكُسِرَتْ ساقُهُ وأُصيبَ جسدُهُ برضوضٍ وجُروحٍ وسقطَ مغْشيًا عليْه .

كانَ المنْزِلُ الذي سقطَ فيه أشْعبُ هو منْزِلُ الأمير « تيْمور »



الأخُ الأكبَرِ للأميرِ «مَشْهُور» . وعِنْدَمَا سمِعَ الأَمِيرُ «تيْمور» صوْتَ اصْطِدامِه بالأرْضِ هُرِعَ إلَيْهِ وسألَهُ فى قَلَقٍ :

ـ ما الذى أصابَكَ يا أشْعَبُ ؟ ومَنْ فعَلَ بكَ هذا ؟

فقصَّ أشْعَبُ ما حدَثَ لَهُ مِن أخيه ، ولمْ يتمالَكِ الأميرُ «تيْمور» نفْسَه مِنَ الضَّحِك ، وقالَ فى دَهْشَةٍ :

ـ أوَ قدْ فعَلَها معَكَ ؟

فأجابَ : ـ وقدْ كِدْتُ أَمُوتُ رُعْبًا وفَزَعًا .





فاعْتذَرَ الأميرُ «تَيْمور» لأشْعَبَ ، وقالَ :

إنَّها حالَةٌ تُصيبُهُ من وقْتٍ لآخَرَ ، وقدْ عجزَ الأطِبّاءُ عنْ عِلاجِها ، فاحْمَدِ اللَّهَ على أنَّكَ نجوْتَ مِنْ تحْتِ يدِهِ .

فصاحَ أشْعَبُ :

ـ يا حَفيظُ !

وعنْدَئذٍ أمرَ الأميرُ «تَيْمور» لأشْعَبَ بِمائتَيْ دينارٍ ، وأبْقاهُ معَهُ في بيْتِهِ يُعالِجُهُ ويعُولُهُ إلى أنْ تَمَّ شِفاؤُهُ ، ولمْ يرَ الأميرُ «مَشْهور» وجْهَهُ بعْدَ ذلِكَ .

رقم الإيداع : ٥١٦٨ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولي : ١ـ٨٨٣ـ٢٦٦ـ٩٧٧